

## القصائد العربية فى دواوين شعراء الفارسية

قيس آل قيس\*

نفيه حاجى رجبى\*\*

### الملخص

الصلات بين الفرس و العرب قديمة تمتد أصولها إلى أبعد من تاريخ المدن و الاختلاط. و التبادل و المشاركة فى الحياة الاجتماعية و الثقافية بين الامتين فى كل العصور يكشف عن أوثق الروابط و الصلات بينهما. كان ظهور الدين الحنيف سبب انتشار اللغة العربية حتى شملت البلاد الايرانية و قد شرع معظم العلماء الايرانيين فى تدوين مؤلفاتهم و كتبهم و رسائلهم باللغة العربية و ظهر شعراء كثيرون ينظمون بها و يعرفون بأصحاب اللسانين لأنهم عبروا بالفارسية و العربية و ظهور هؤلاء الشعراء أحد أبعاد تجليات الصلات الثقافية بينهما.

الكلمات الرئيسية: الصلات بين الأمتين، العرب، ايران، القصائد العربية، ذولسانين.

### المقدمة

كان بين العرب و الايرانيين منذ أقدم العصور علاقات مشتركة عريقة فى جميع حقول الحياة و لاسيما منذ العهد الأخمينى فى إيران (القرن السادس قبل الميلاد) حتى الآن. جاء الإسلام و أزال الحواجز القومية. و انتشار الإسلام فى إيران أدى إلى اختلاط شديد بينهما فى الزواج و التعامل الاقتصادي و الثقافى و سائر مناحى الحياة و حمل الفرس إلى العرب أوجه ثقافتهم. كلما كانت الأيام تمضى كانت تزداد محبة الفرس للإسلام و يهتم الايرانيون باللغة العربية.

\* استاذ مشارك فى معهد العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية - وزارة التعليم العالى Al kaiss@ihcs.ac.ir

\*\* ماجستير فى اللغة العربية و آدابها، معهد العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية hnaface@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٥، تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/١٦

وظهر كبار الأدباء و اللغويون و النحويون و النقاد و كُتّاب المعاجم من الايرانيين، و كان للشعراء إلى جانب هؤلاء دور اساسى فى تفاعل هاتين الثقافتين حتى نرى دواوين عظماء شعراء الأدب الفارسى مشبعة بالثقافة الاسلامية التى تعتبر اللغة العربية اساساً لها.

فظاهرة هذه العلاقات يتمثل بظهور شعراء ايرانيين كانوا ينظمون باللسانين العربى و الفارسى. وقد جاء فى أشعارهم مضامين متنوعة تدل على حظهم الوافر من العلوم المتداولة. نركز فى بحثنا هذا على الأمور التالية:

١. الصلات بين العرب و الفرس فى الأزمنة المختلفة من التاريخ و الصلات الشعرية بينهما.
٢. ترجمة الشعراء الايرانيين الذين نظموا باللغة العربية طبق سنة الوفاة.

## ١. الصلات بين العرب و الفرس قبل الإسلام

يخبرنا التاريخ عن علاقات قديمة جداً بينهما بسبب التجاور بين البلدين و التمازج و التبادل و الترابط و تأثير الشعوب بعضها فى بعض كعلاقات ملوك السلالة الأخمينية مع العرب. كما أن الملك قورش أخذ الجزية من العرب منذ سنة ٥٥٠ ق م. و أن كمبوجيه تغلب على الجزيرة العربية و أدخلها ضمن مملكته. و فى عهد سابور الأول (٢٤١-٢٧٢ م) حاصر سابور حصن الساطرون الذى كان على شاطئ الفرات عامين، ثم فتحه. كما أن سابور الثانى (٢٧٩-٣٠٩ م) حمل على العرب فسماه العرب «ذا الاكتاف» لنزعه اكتاف رؤساء القبائل العربية (محمد الحوفى، ١٩٧٨: ٥-١٠).

فى عصر الساسانيين احتك العرب بالفارسية لغة العلم و الحضارة التى تحتوى فنوناً مختلفة من الآداب السياسية و الحكمة و الأدب التعليمى و الأخلاقى و غيرها من العلوم المعروفة. و كان الأكاسرة يستخدمون العرب فى دواوينهم كترجمين و كُتّاب و مستشارين. و آل عدى بن زيد أشهر كتاب العرب فى دواوين الفرس كما درس اطباء العرب المشاهير علم الطب فى فارس (عبد المحمدى، ١٤٢٦: ٤١٩).

بعض الشعراء العرب ترددوا على بلاطات الأكاسرة أو ملوك الحيرة التابعين لبلاط بنى ساسان فتجلت معرفتهم بحياة المجتمع الفارسى فى أشعارهم و نرى تأثير الشعر العربى بأساطير و معتقدات كتاب زراتشت قبل الاسلام و هذا يدل على مبلغ رواج القصص و الأساطير التى سجلها الأدب الفارسى بين العرب.

و قد تجلّت مفردات كثيرة و تعابير و مدلولات فارسية فى شؤون الحياة المختلفة من الشعر

قيس آل قيس و نفيسه حاجى رجبى ٣

العربى الجاهلى كما فى شعر الأعشى و عدى بن زيد الذى تولى الكتابة فى ديوان ملك الفرس هرمز و فى أشعار النابغة الذبياني و غيرهم من الشعراء الذين كانت لهم علاقات بالحيرة أو ببلاط الساسانيين (محمدي، ١٩٩٥: ٩٦).

## ٢. الصلات بين العرب و الفرس فى صدر الإسلام

بعد هزيمة الجيوش الفارسية أمام الجيوش الإسلامية فى معركة فتح الفتوح سنة ٢١ هـ دخل العرب المسلمون ايران و أخذ الفرس يدخلون فى الاسلام و كان ظهور الدين الحنيف هو السبب الأقوى لجعل العرب و الفرس على صلة ببعضهما و بلغت الصلة بينهما من القوة منتهاها و امتازت ايران فى ظل الإسلام بطابع حضارى دينى و أخوة عربية إيرانية و استوعب الشعب الايرانى مفاهيم الدين. إن الايرانيين ممن خدموا اللغة العربية خدمة عظيمة و قد شارك الإيرانيون إخوانهم العرب فى علوم القرآن، و علم الحديث، و الفقه، و التصوف و العرفان و للإيرانيين كتب كثيرة فى هذه المجالات (مجيب المصرى، ٢٠٠١: ٤٧).

و كان الكتاب الفارسية و شعراء ها يكتسبون مهارة و شهرة فى مجال النثر و النظم العربى اذ انهم لم يكونوا يعدون العربية لغة للعرب فحسب بل لغة الإسلام المسلمين عامة. و قد سبب تغلغل الكلمات العربية فى اللغة الفارسية هجران اللغة البهلوية بالتدريج و تحول الكتابة بالخط البهلوى إلى الكتابة بالخط العربى و هذا كافٍ فى حد ذاته لتبيان مدى عمق التأثير العربى فى الثقافة الفارسية (صادق سعيد، بلاتا: ٢٢-٢٣).

## ٣. الصلات بين العرب و الفرس بعد الإسلام

إن أماننا ما لا يحصى من وثائق التاريخ و الأدب مما يدل على التواصل الثقافى على مرّ العصور بين أجزاء العالم الاسلامى. و المشاركة فى الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية بين هاتين الأمتين يكشف عن أوثق الروابط و الصلات بينهما خاصة بعد الإسلام و أن الفرس أثروا فى العرب و تأثروا بهم فى اللغة و الثقافة و السنن و الآداب و التقاليد و العادات (ميرزا محمد، ١٤٢٦: ٢١٣).

فقد أخذ العرب من الفرس أوجه ثقافتهم المتجلية فى الإدارة و النظم و الزراعة و الصناعة و تأثيث المنازل و القصور و العلوم الطبية و الهندسة و الأدب و الفكر فأخذوا اسماءها و عربوها و استخدموا بعضها فى الادب (الكك، ٢٠٠٠: ٥).

كان نصيب الفارسية من الألفاظ العربية أكبر وأعظم بحيث كوَّنت الألفاظ العربية جانباً ضخماً من مفردات اللغة الفارسية فكانت النتيجة أن ظهرت لغة فارسية إسلامية جديدة ممتزجة باللغة العربية (ايروانى زاده و شاملى، ١٣٨٤: ١١).

من مظاهر امتزاج اللغتين العربية و الفارسية ظهور الشعر الملمّع، إذ تضمن الشعر الفارسى آيات قرآنية و أحاديث نبوية، و كذلك ظهور الشعراء ذوى اللسانين الذين ينشدون الشعر بالعربية و الفارسية، و زيادة الأمثال و الحكم فى الشعر العربى و أكثرها مترجم من اللغة الفارسية، و تضمّن الشعر العربى لألفاظ الفارسية، واهتمام شعراء الفرس بفنون البديع العربية، و تلقّب كثير من العرب بألقاب فارسية و تسمية كثير من الفرس بأسماء مركبة من العربية و الفارسية، و إلقاء المواعظ على الناس باللغتين (شوقى ضيف، ١٩٩٦: ٥٦٦-٥٦٧).

و من عوامل انتشار العربية فى إيران دخول الجيوش الاسلامية فى بلاد فارس و حيث هاجر كثير من العرب إلى إيران و استوطنوها فيها، و جد الفرس فى نشر الإسلام و تبليغه و هذا يستلزم إتقان العربية و إجادتها. إن العرب احتاجوا إلى الفرس فى ادارة الدولة زمن الامويين و العباسيين، فكان ذلك عاملاً مهماً فى تعلمهم العربية و ترويجها (ايروانى زاده و شاملى، ١٣٨٤: ٥-١٢).

وفى العصر العباسى أشرك الفرس فى السلطة و الإدارة و الجيش و تعاون أشراف الفرس مع العرب. و قد تكوّن الأدب العباسى فى بيئة جوّها مشبع بالنفس الفارسى و الروح الفارسية إذ نجد كل الكلمات التى دخلت العربية فى هذا العصر فارسية أو مأخوذة عن الفارسية. كان اختلاط العرب بالفرس فى هذا العصر سبب ظهور الزندقة و الفرس نشروا دياناتهم و هى الزردشتية و المانوية و المزدكية فى المجتمع العربى الاسلامى.

لقد بدأ النقل و للترجمة من التراث الساسانى منذ الفترة الأموية المتأخرة، ثم قامت حركة واسعة للترجمة بعد مجيء العباسيين و كان لكتّاب الفرس دور فى الترجمة عن الفارسية. و فى أوائل العصر العباسى كان للترجمة تأثير كبير على تطور الأدب العربى و اتساع اللغة العربية فهذه النهضة أحدثت ثورة فى الأفكار و العقول و ظهر أثرها فى اللغة العربية و آدابها (محمدي، ١٩٩٥: ٩٦-٩٧).

#### ٤. الصلات الشعرية بين العرب و الفرس

تناول الشعر الفارسى موضوعات الشعر العربى من المدح و الهجاء و الغزل و الوصف. فللمدحة مقدمة من النسيب و وصف الطبيعة كأننا نقرأ مدحة عربية مترجمة مثل مدائح منوجهرى، والعسجدى، والعنصرى و الفرخى. و شعر التصوف الفارسى فى نشوئه و نموه كان يتغذى بشعر

قيس آل قيس و نيفسه حاجى رجبى ٥

التصوف العربى عند الحلاج، وابن العربى، وابن الفارض. و قد نظم العرب قصصاً فارسية كخسرو و شيرين و نظموا كثيراً من وقائع التاريخ الايرانى و أساطيره (قنديل، ١٩٨١: ٢٠٠-٢٠٣). و قد لاحظت بشائر الشعر الفارسى الإسلامى فى أواخر القرن الثانى الهجرى و اوائل القرن الثالث حيث نشأ فى كنف الشعر العربى و سار على غراره و لكن راجت سوق الشعر العربى بايران فى القرن الرابع الهجرى رواجاً عظيماً و كان من العوامل التى أدت إلى هذا الرواج اهتمام ملوك البويهيين و وزرائهم بالشعر و أصحابه و فى مقدمتهم عضد الدولة (شوقى ضيف، ١٩٩٦: ٥٦٨). فقد أثر البويهيون أن يرتبطوا بالعالم الإسلامى عن طريق اللغة العربية و آدابها و كان بينهم الشعراء و الأدباء و كان وزراؤهم من كبار الأدباء و فى مقدمتهم صاحب بن عباد و ابن العميد و هو الجامع بين الثقافة العربية و العمق الفكرى و التقاليد الفارسية (آذرشب، ٢٠٠١: ١٠٧-١٢٦).

#### ٥. ترجمة الشعراء الايرانيين الذين نظموا باللغة العربية حسب سنة الوفاة

ثمة روابط وثيقة بين تراثى العرب و ايران فى ميدان الشعر نادراً ما قامت بين أمتين و كانت الصلة بين العرب و الفرس فى مظهر لغوى - أدبى هو التقاء الفارسية و العربية جميعاً فى السنة بعض من شعراء و بلغاء الفرس الذين نشأوا و ترعرعوا فى ايران و قضوا كلاً أو جزءاً من حياتهم فيها و أبدعوا آثاراً منظومة أو منثورة و هم يعرفون بأصحاب اللسانين لأنهم عبّروا بالفارسية و العربية و بذلك توأمت اللغتان و ارتبطتا بثقافة الاسلامية. هذه المجموعة تشتمل على عدد من نوابغ ايران فى اللغة العربية و تتضمن نماذج من أشعارهم.

#### ١.٥ قابوس بن زياد وشمگیر (٤٠٣ هـ - ...)

الامير شمس المعالى، ابوالحسن، قابوس بن أبى طاهر، وشمگیر بن زياد بن وردان شاه الجيلى و لقبه الخليفة العباسى بلقب «شمس المعالى».

يرجع نسبه هو و أسرته إلى «آل قارن» إحدى الأسر السبع الرفيعة لعهد الساسانيين وهو أحد أمراء الدولة الزيارية فى طبرستان و جرجان و بلاد الجبل. و ولى الحكم بعد أبيه وشمگیر ابن زياد سنة ٣٦٧ و اشتبك مع البويهيين فهزم و فر من إمارته إلى السامانيين سنة ٣٧١ و ظلّ عندهم حتى استردّ ملكه سنة ٣٨٨.

كان اميراً جليل القدر و بعيد الهمّة و ذا رأى بصير بالعواقب، و رغم ما امتاز به من نبيل الأصل و علو العقل، كان فظاً غليظ القلب كثير الظنون. و فى بعض الأحيان كان عطشان إلى سفك

الدماء حتى استوحشت النفوس منه فأجمع أعيان دولته و عسكره على خلعه و حاصروه بإحدى القلاع في جرجان و لم يزل في سجنه حتى توفي سنة ٤٠٣. كان قابوس من الفضلاء البلغاء في اللغتين العربية و الفارسية و له رسائل و أشعار و له أشعار لطيفة بالفارسية و العربية. وكان بارزاً في علوم البلاغة العربية، متفوقاً في الفلسفة و النجوم و قد كتب بالعربية رسالة عن «الاسطرلاب» و كان يكرم العلماء و الشعراء و يجزل الصلوات لهم و هو يعدّ من كبار الكتّاب في عصره (شوقي ضيف، ١٩٩٦: ٦٥٠-٦٥١).

و من شعره:

قل للذي بصروف الدهر عَيْرْنَا	هَلْ حَارَبَ الدهرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطْرُ
أما ترى البحرَ تَعْلُو فوقه جيفُ	و يستقرُّ بأقصى قَعْرِهِ الدُرُّرُ؟
فإن تَكُنْ نَشِبَتِ أيدي الزمانُ بنا	و نألنا مِن تمادى بُوسِهَا الضَّرُّرُ
ففي السماء نجومٌ ما لها عَدَدٌ	و ليس يُكسِفُ إِلَّا الشمسُ و القمرُ

و له أيضاً:

بالله لا تنهضى يادولة السفل	و قصرى فضل ما أرخيص من طول
أسرفتِ فاقصدى، جاوزتِ فانصرفى	عن التهورثم امشى على مهل
مُخَدَّمون و لم تخدم أوائلهم	مُخَلَّدون و كانوا أرذل الخول

وله كذلك:

خطرات ذكرك تستثير مودتى	فأحس منها فى الفؤاد ديبيا
لا عضولى إلا وفيه صباية	فكأن أعضاءي خلقتن قلوبا

(تويسركانى، ١٣٣٦: ١٣٨)

إن الزمان لا يهتم و لا يعباً إلا بذوى المكانة و المنزلة و لا ينظر إلا إلى ذوى الهمم العالية، فهو لا يتصدى إلا لهم، و هؤلاء قليلون دائماً و ابداً، فإذا ما اختلفوا عن العيون و الأنظار بسبب صروف الدهر و نوائبه، ظهر غيرهم ممن لا يستحق الثناء و الإطراء، فليس أولئك بالنسبة إلى هؤلاء إلا كالشمس و القمر بالنسبة إلى النجوم، هذه بادية للعيان و ذانكما يطرأ عليهما الكسوف و ما ذلك إلا لأهميتها و مكانتها.

إنه يدعو على دولة الاوغاد و السفلى بالسقوط و الأفول و يتمنى أن يقصر عمرها و أن لا يطول، فهي قد اسرفت و جاوزت الحد فيريد أن تنصرف عن تهورها و تكف عن غوائلها و

قيس آل قيس و نفيسه حاجى رجبى ٧

جورها، ان رجال هذه الدولة لم يكن لهم ذكر و لم يكونوا ذوى أصل و نسب، إنهم الآن يتمتعون بنعيم هذه الدولة فى حين انهم كانوا اخس العبيد و أرذلهم.

ذكرى الحبيب تثير عواطفه و أحاسيسه، فتدبّ هذه فى قلبه بل فى جسمه جميعاً، فكأن كلّ عضو من أعضائه أصبح قلباً فيه حرارة الحبّ و شوقه و حنينه و عاطفته.

وكما كان أديبنا شاعراً ظريفاً، كان كاتباً مترسلاً ايضاً، لكنّ الصناعة فى شعره أقلّ من الصناعة فى نثره و هو يغرب فى الاستعارات خاصة فيأتى بالبارع منها كثيراً و بغير البارع قليلاً و له فى نثره أقوال حكمية موجزة (ايروانى زاده و شاملى، ١٣٨٤: ١٨٩-١٩١).

## ٢.٥ الطغرائى (٤٥٣-٥١٣ هـ)

أبو اسماعيل، الحسين بن على بن محمد عبدالصمد، الملقب بمؤيد الدين المعروف بالطغرائى. نسبته إلى من يكتب الطغراء و هى الطرّة التى تكتب فى أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلىّ تتضمن اسم الملك و ألقابه، ولد عام ٤٥٣ فى جى من أعمال اصفهان.

كان من أفراد الدهر و آية فى الكتابة و الشعر غزير الفضل لطيف الطبع فاضلاً عالمياً صحيح المذهب. كان مشتغلاً بعلم الكيمياء و صنّف فيه كتباً و له فى العربية و العلوم قدرٌ راسخٌ وله باع طويل فى البلاغة. ينسب إليه اشعار كثيرة فى مدح أهل البيت عليهم السلام لا توجد فى ديوانه و كأنها أسقطت منه.

خدم سلاطين آل سلجوق و كان منشىء السلطان محمد مدة ملكه، متولى ديوان الطغراء و صاحب ديوان الانشاء إلى أن صار وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقى بالموصل و لم يكن فى الدولتين السلجوقية و الإمامية من يمانته فى الانشاء سوى أمين الملك أبى نصر العتبى. له تصانيف منها: جامع الأسرار و تراكيب الانوار و حقائق الاستشهادات، ذات الفوائد، الرد على ابن سينا فى إبطال الكيمياء، مصابيح الحكمة، ديوان شعر و غير ذلك.

و قد قتل سنة ٥١٣ هـ و قد جاوز الستين سنة.

و قد اشتهر بلامية العجم التى شرحها الصفدى و قد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ معبراً عن آلامه و يشكو زمانه. وهذه القصيدة فى حذاء القصيدة المعروفة بلامية العرب التى أنشأها ثابت بن اوس الازدى اليمنى المشهور بالشنفرى (محسن الامين الحسينى، ١٩٣٥: ٦/١٢٧-١٢٨).

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل و حيلة الفضل زانتنى لذى العطل  
مجدى أخيراً و مجدى اولاً شرع و الشمس رآد الضحى كالشمس فى الطفل

فيم الإقامة بالزوراء لاسكنى      بها ولا ناقتي فيها ولاجملى  
 ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد      كالسيف عرى متناه عن الخلل  
 ولا صديق إليه مشتكى حزني      ولا أنيس إليه منتهى جدلي  
 حال اغترابي حتى حنّ راحلتي      ورحلها وقرى العسالة الذبل  
 وضجّ من لغب تصوى و عجّ لما      يلقي ركابي ولجّ الركب في عدلي  
 أريد بسطة كفّ أستعين بها      على قضاء حقوق للعلى قبلى  
 والدهر يعكس آمالي و يقنعنى      من الغنيمة بعد الكدّ بالقل  
 وذى شاطٍ كصدر الرمح معتقل      بمنله غير هيّابٍ ولا وكل

(ابن خلكان، ١٩٧١-١٩٧٢: ١٨٥/٢)

أصبح الشاعر نائباً في ديوان الطغراء ولكنه يطمع بالصدارة ولا يرضى لنفسه أن يبقى كاتباً أو نائباً. إنه سعى إلى الوزارة لأنه يريد أن يحقق ذاته وأن يحكم و طبيعى أن يحس بها الصدور فيتبعوا حركاته و سكناته و يحسدوا و يحقدوا عليه و يشوّهوا الحقائق و يختلقوا الأباطيل و يصبح ديدنهم إزاحة الطغرائي عن طريقهم والاستعانة في سبيل تلك الغاية بكل وسيلة، هؤلاء يغيرون عليه قلب السلطان و يؤلبون اللؤماء و يحطون من مكانته. و أصدقاؤه ألد أعدائه و لقد أوقعوا به و انزلوه من مجده و لم يعد له ذلك النفوذ و لقد بات في همّ و قلق و بين إقدام و إحجام.

هو في بغداد ليس بأسعد حظاً مما كان عليه في إصفهان. ولم يجد عند الخليفة ما كان ينتظره و حتى ما يمكن أن يكون جزء على فضل سابق و خدمة سابقة و مثل الخليفة حاشيته. فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن عليه من ضيق و انتهى عالم و بدأ عالم أسود. فعزل الطغرائي من ديوانه عام ٥٠٥ و تلك مصيبة عظمى و مضاعفة.

وهذا صميم دافع، حده إلى نظم قصيدتين طويلتين عامرتين: بائية و لامية قد قالها في العام ٥٠٥ نفسه و أفرغ كل ما كان يخامره من مشاعر و أفكار و لاشك أنه أعجب بها و ارتاح إليها و قرأها و استعادها و ظلّ يرويها للمقربين أمثال الشهرزورى و ابن الشجرة و ابن الاخوة و المعجبون حوله يستعيدونها.

#### شرح بعض أبيات قصيدته اللامية

الشاعر يفخر بنفسه و بصواب الرأى و الفضل و يعبر عن نفسه بالقول: يا ننى مزين بالفضل بعد



عزلى من الوزارة و ان منصب الوزارة لم يعطلنى من الفضل و صواب رأيى حفظنى عن الفساد فى المنطق و الكلام. انه يعتقد بأن كرمه و مجده قبل العزل و بعده سواء و العزل عن الوزارة لم يؤثر فى مجده و كرمه لأنه كريم الأصل. كما أن الشمس وقت غروب الشمس كالشمس وقت الضحى و لا تقل الشمس وقت الغروب منزلة و ليس لأحد أن يكذبه فى دعواه و هو الذى بلغ فى عصره المنزلة المرموقة علماً و أدباً و سياسةً و أن فخره مشوب بشيء من الشكوى و المرارة و لقد فقد صاحبه شيئاً عزيزاً عليه، و قد يكون أهم ما يملك و أكبر ما يرى فى الحياة و فيه عزته و كبرياؤه. الشاعر يرى عدم لزوم الإقامة فى بغداد و أن فيها أسى شديداً و عتاباً بالنفس مرّاً. انه استفهام صدر عن أعماق نفس متألمة و غير راضية عن إقامتها فى بغداد و دعوة إلى الهجرة فوالى الأدلة إلى الهجرة، ليس للشاعر أحد فيها يأنس به، و هو متباعد عن أهله، خال اليد، منفرد كالسيف الذى تجرد عن غمده، لا صديق له حتى يشتكى حزنه إليه و لا أنيس له ليشاركه فى سروره و الجدل و بما أن سفره طال و امتدّ، تعبت ناقته و صاحت و رفعت صوتها وكان أصحابه يلومونه على الإستمرار فى سفره و لا بدّ من العودة، رضى أم لم يرض.

و يقول إن الدهر خالفنى و قلبّ آمالى فأصبحت قانعاً بالجوع من السفر دون اكتساب غنيمة و كل ما فى الدهر يدعو إلى التشاؤم بحرارة و حماسة، أهل هذا العالم قوم أعداء شيمتهم الغدر، كذابون لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يثق بالآخرين، صادق (على جواد الطاهر، ١٩٦٢: ٧١-١٣٠).

### ٣. السعدى (٦٠٥-٦٩١ هـ)

هو مشرف الدين بن مصلح الدين عبدالله المتخلص بالسعدى ولد فى مدينة شيراز حوالى سنة ٦٠٥ هـ انتقل سعدى عند موت أبيه إلى رعاية حاكم فارس الأتابك سعد بن زنگى و هذا الحاكم أرسله إلى المدرسة النظامية فى بغداد لمتابعة دروسه و استيفاء تحصيله و قد وقع السعدى فى بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفى شهاب الدين السهروردى و أخذ أيضاً الفضل و العلم من شمس الدين أبى الفرج بن الجوزى.

إنه عاصر هجمة المغول على العالم الاسلامى فعبر عن مشاعره تجاه سقوط بغداد و مقتل الخليفة العباسى و بعد أن غادر بغداد قصد أن يترحل بين اقطار العالم الإسلامى. و فى عهد الأتابك السلغرى قفل إلى شيراز مسقط رأسه.

إنه شاعر من كبار الشعراء الايرانيين و رائد الشعر التعليمى الأخلاقى و صوفى ينظم الغزل الصوفى و تروى عنه الكرامات فى باب الحكمة و الموعدة و إيراد الحكم و الأمثال. فاق بالشعر

الفارسي أقرانه و بالغ في غزلياته نهاية حدود اللطف و الجمال، فصاغ أدق المعاني في الالفاظ البسيطة و التعابير الفصحية و البليغة.

له إنتاج ضخم من الشعر و النثر و له كتابان «بوستان» نظمته سنة ٦٥٥ و «گلستان» نظمته عام ٦٥٦ هـ و له ست رسائل نثرية: المجالس الخمسة، نصيحة الملوك، رسالة في العقل و العشق، التقارير الثلاثة. وله قصائد فارسية و عربية و مملّعات و ترجيعات و ثلاث مجموعات من الغزليات الصوفية هي الطبيبات و البدائع و الخوايتم.

توفي في شيراز عام ٦٩١ هـ و قد جاوز المائة من عمره (عوض بن معيوض الجميعی، ٢٠٠٤: ٩٥-١٠٨).

في مرثية المعتصم بالله و ذكر واقعة بغداد:

حبست بجفنى المدامع لاتجرى	فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها	تمنيت لو كانت تمر على قبرى
لان هلاك النفس عند أولى النهى	أحب له من عيش منقبض الصدر
زجرت طبيباً جسّ نبضى مداويتاً	اليك، فما شكواى من مرض تبرى
لزمت اصطباراً حيث كنت مفارقاً	و هذا فراق لايعالج بالصبر
تسانلتى عما يجرى يوم حصرهم	و ذلك مما ليس يدخل فى الحصر
أديرت كوؤس الموت حتى كأنه	رؤس الأسارى ترجحن من السكر
لقد ثلكت ام القرى و لكعبة	مدامع فى الميزاب تسكب فى الحجر
بكت جدر المستنصرية ندبة	على العلماء الراسخين ذوى الحجر
نوائب دهر ليتنى مت قبلها	و لم ارعدوان السفيه على الحبر
محابر تبكى بعدهم بسوادها	و بعض قلوب الناس احلك من حبر
لحى الله من يسدى إليه بنعمة	و عندهجوم الناس يألف بالغدر
مررت بصم الراسيات اجوبها	كخنساء من فرط البكاء على صخر
أيا ناصحى بالصبر دعنى و زفرتى	أموضع صبر و الكبود على الجمر؟
تهدم شخصى من مداومة البكا	ويندم الجرف الدوارس بالمخر
وقفقت بعبادان ارقب دجلة	كمثل دم قان يسيل إلى البحر
وفائض دمعى فى مصيبة واسط	يزيد على مد البحيرة و الجزر

قيس آل قيس و نفيسه حاجى رجبى ١١

فجرت مياه العين فازددت حرقة  
ولا تسألنى كيف قلبك و النوى  
و هب ان دار الملك ترجع عامراً  
فأين بنوالعباس مفتخر السورى  
غدا سمرأ بين الأنام حديتهم  
و فى الخبر المروى دين محمد  
كما احترقت جوف الدماميل بالفجر  
جراحة صدرى لاتيسن بالسبر  
و يغسل وجه العالمين من العفر  
ذوو الخلق المرضى و الغرر الزهر  
و ذا سمريدى المسامع كالسمر  
يعود غريباً مثل مبتدأ الامر

(سعدى الشيرازى، بلاتا: ٧٥٧)

لقد كان لحادثة سقوط بغداد، و مقتل الخليفة العباسى المعتصم بالله سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاء الأثر العميق المؤلم فى نفوس المسلمين كافة، كانت كارثة مروعة ألهمت مشاعرهم، كما ألهمت مشاعر الشعراء و نفوسهم، فنظموا مراثى عدة يعبرون فيها عن جزعهم إزاء ذلك الخطب المؤلم. وقد شارك سعدى شعراء عصره فى رثاء الخليفة، و عبّر عن مشاعره فى قصيدتين إحداهما بالعربية و الأخرى بالفارسية.

يصور الشاعر فى هذه القصيدة مدى حزنه و أسفه على ما حاق بالخلافة الإسلامية، مما جعله يتمنى الموت لنفسه، صور ما حلّ بالبلاد من نار الفتنة التى تتأجج و تأتى على الأقطار الواحد تلو الآخر. هذه القصيدة من أطول قصائده على الإطلاق، فقد بلغت اثنين و تسعين بيتاً، بينما جاءت القصيدة التى نظمها سعدى بالفارسية فى رثاء الخليفة فى ثمانية و عشرين بيتاً. اشتمل النص على التعبير الصادق عن مشاعر الحزن الشديد و الجزع المؤلم على ما حلّ بديار المسلمين من كارثة مرعبة، كما تضمّن الشكوى من غدر الزمان و تقلّب الأحوال و التحذير من تحول الدنيا و انقلابها.

و هنا نلاحظ تفاعل العلاقات الأدبية بين الثقافتين العربية و الفارسية، و مدى أثر الثقافة العربية فى شعره، فجملة «طغى الماء» فى مطلع القصيدة العربية تعبير قرآنى، و مثل هذا التأثير كثير فى شعره، شاع و انتشر فى سائر قصائده، و هذا يعكس ما استقر فى الوجدان من عمق التجربة. و هذا الصدق الفنى جعل هذه المشاعر التى احتوتها هذه القصيدة و غيرها من قصائده، تنفذ من الأعماق إلى الأعماق و يجتاحك شعور غريب و احساس غير عادى ممتزج فيه الحزن بالشجن و المتعة بالألم.

و الآن نشرح بعض أبيات قصيدته فى رثاء بغداد

يرثى الشاعر بغداد لما اصابها من القتل و السفك و التخريب و الدمار، بغداد التى امضى فيها الشاعر شطراً من عمره ليس بالقصير، و نهل من منبع علومها المقدر الكثير، انه يحاول ان يصبر و

يتجلد فحبس الدموع في عينيه، ولكنها عندما زادت تفجرت و جرت منهما، كالسيل الذي يطغى على السدّ فيكسره فلا يستطيع أن يحبسه خلفه. انه يتمنى ان يكون قد مات قبل أن يرى خرابها و دمارها فلا يستنشق نسيم خرابها، فإذا مرّ نسيم خرابها يمرّ على قبره. لأن الموت عند العقلاء افضل من العيش و الحالة أن يكون الانسان حزينا منقبض الصدر مغموما. تألم الشاعر ألما شديدا لما اصاب بغداد فمرض جسمه و حزنت روحه فلما جسّ نبضه الطبيب لمداواته زجره قائلاً ان شكايته ليست من مرض تستطيع له براءً انك تسألني عما اصاب بغداد يوم حاصروها، و ذلك ما لا يمكن أن يوصف. لقد اطاحوا برؤوس ساكنيها فأخذت تتمايل كأنها تتأرجح بسبب السكر و الشراب. إنها مصائب الزمان و نوائبه، فليتني مت و لم أر عدوان السفية و تجاوزه على العلماء و العقلاء. انه يخاطب ناصحه بالصبر و التجلد قائلاً ان نصيحتك لا تجديني نفعاً و لا تعود على بفائدة، لأن الحالة ليس يستطيع الصبر عليها، لأن القلوب و الأكباد مضطربة ناراً. إنه وقف بمدينة عبّادان ينظر إلى ماء دجلة و ما أصابه بسبب القتل و الدمار انه كالدّم يسيل إلى البحر.

انه يخاطب ناصحه و يقول له لا تسأل عما فعل البعد عن بغداد في قلبي انه مملوء بالجراحات بحيث لا يمكن أن تسبر جراحاته و يعرف مدى عمقها، إنه يخاطب ناصحه قائلاً له: افرض أن بغداد تعود عامرة و تصبح زاهية مرة أخرى، فهل يمكن ان يعود القتلى أحياء مرة ثانية و منهم خلفاء بنى العباس الذين يفتخر بهم المسلمون. إنهم اصبحوا اخبارا يتحدث فيها الناس بأسمارهم و لكن هذه الأسمار ليست أسمارا يفرحون بها و إنما هي أخبار و أسمار تدمى القلوب و تؤلم النفوس و قد جاء في الأخبار أن دين النبي (ص) يعود غربياً، فهل يعود غربياً في حالة تكون أ غرب و أعجب من هذه الحالة التي هو عليها الآن (عوض بن معيوض الجميعي، ٢٠٠٤: ٩٥-١٠٨).

## النتيجة

إنّ العلاقات بين العرب و الفرس قديمة و عريقة و إن العرب لم يكونوا بعيدين عن الحياة الفارسية حتى قبل الإسلام و جرى تبادل التأثير بين اللغتين منذ العصور الغابرة. و بعد ظهور الإسلام بلغت الصلة بينهما من القوة متنهاها و الحضارة الفارسية قد منلت ركناً ركيناً في تشييد صرح الحضارة الاسلامية وكان الامتراج و التفاعل بين العرب و الفرس سبباً للتطور و التجديد الذي رفع الادب العربي و كان للشعراء إلى جانب هؤلاء دور أساسي في تفاعل هاتين الثقافتين حيث ظهر شعراء الفارسية من ذوى اللسانين الذين كانوا ينشدون الشعر بالعربية و الفارسية.

## المصادر

### الكتب

- آذرشب، محمدعلى (٢٠٠١ م). *العلاقات الثقافية الإيرانية العربية*، دمشق: المستشارية الثقافية الجمهورية الإيرانية.
- ابن خلكان (١٩٧١-١٩٧٢ م). *وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان*، حققه احسان عباس، بيروت: دارالثقافة.
- احسان صادق سعيد (بالاتا). *علوم البلاغة عند العرب و الفرس (دراسة مقارنة)*، المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق.
- الامين الحسينى العالمى، محسن (١٩٣٥ م). *اعيان الشيعة*، بيروت.
- ايروانى زاده، عبدالغنى و نصرالله شاملى (١٣٨٤ هـ.ش). *الادب العربى و الايرانيون*، تهران: سمت.
- تويسركانى، قاسم (١٣٣٦ هـ.ش). *عدد من بلغاء ايران فى لغة العرب و نخب من آثارهم*، تهران: دانشگاه تهران.
- حريجى، فيروز (بالاتا). *دراسة و جيزة حول اشعار هاتف العربية*، طهران: طهورى.
- الحوفى، احمد محمد (١٩٧٨ م). *تيارات ثقافية بين العرب و الفرس*، القاهرة: دار النهضة.
- سعدى شيرازى (بالاتا). *ديوان شبيخ أجل سعدى شيرازى*، به كوشش مظاهر صفا، تهران: كانون معرفت.
- شوقى ضيف (١٩٩٦ م). *تاريخ الادب العربى، عصر الدول و الامارات الجزيرة العربية - العراق - ايران*، مصر: دارالمعارف.
- قنديل، اسعاد عبدالهادى (١٩٨١ م). *فنون الشعر الفارسى*، بيروت: دار الاندلس.
- الكك، فيكتور (٢٠٠٠ م). *مختارات من الشعر الفارسى منقولة إلى العربية*، طهران: دارالهدى.
- مجيب المصرى، حسين (٢٠٠١ م). *الصلات بين العرب و الفرس و الترك*، القاهرة: الدار الثقافية.
- محمدى، محمد (١٩٩٥ م). *الادب الفارسى فى أهم أدواره و اشهر اعلامه*، طهران: توس.
- مصطفوى نيا، سيدمحمدرضى (١٣٨٢ هـ.ش). *نصوص من النثر و النظم العربى فى ايران*، قم: رازبان.

### المقالات

- عبدالمحمدى، حميدرضا (١٤٢٦ هـ). «حركة النقل و الترجمة و أثرها على اللغة و الادب العربى فى العصر العباسى»، *آفاق الحضارة الاسلامية*، السنة ٩، العدد ١٧.
- عوض بن معبوض الجميعى (٢٠٠٤ م). «العلاقات الأدبية بين الثقافتين العربية و الفارسية: سعدى الشيرازى نموذجاً»، *آفاق الحضارة السلامى*، السنة ٧، العدد ١٤.
- على جواد الطاهر (١٣٩٠ هـ.ش). «لامية الطغرثى»، *مجلة كلية الآداب جامعة بغداد*، العدد ٥، السنة ١٩٦٢ م.